

التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم وأثره في تعديل السلوك



This work is licensed under a
Creative Commons Attribution-
NonCommercial 4.0
International License.

إسماعيل العيسى

أ.د. أمر الله أولكن

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٥ يوليو ٢٠٢٥م

الملخص

مما لا شك فيه أن كلام الله تعالى لا يعلوه بيان ولا يدانيه مثال وهو مصدر الإلهام والغاية في ضروب البيان، فمنه ما أثر في الأذهان واستوعبته ومنه ما عرف ظاهره ولم يدرك باطنه. ونظرا لما للبيان دور في فهم المعاني فقد تنوعت آيات القرآن في عرض مقاصده ومالها من أثر في امتثال أوامره، فقد خصص الباحث عمله في أثر بيان هذه البلاغة الفذة على وجدان المخاطبين وما يتركه من أثر في نفوسهم من حسن البلاغة وجمال التصوير، وأثر ذلك الجمال الفني على ضبط السلوك الإنساني أفرادا وجماعات، هذا البيان المتمثل في التشبيه التمثيلي لما للصورة البيانية من وقع في نفوس البشر كل على قدر فهمه وثقافته، ولا شك أن كلام الله تعالى له سحر أخاذ لا يمكن تجاهله فكيف اذا اقترن هذا الجمال بحسن التمثيل ورسم الصورة التخيلية حتى تشخص للعيان أجلى من المشاهد.

فكان العمل منصب على دراسة هذا الأثر ووقعه في ضبط السلوك وتوجيه اعوجاجه وتقويم ميوله، ليظهر فيه كمال الفعل وأصل الخلقة، لذلك قورنت هذه الدراسة بالعلوم

التطبيقية ذات الصلة التربوية والسلوكية التي أوليت اهتماما وبحثا من قبل مختصيها، فكان واجب على الباحث المسلم أن يبين أن ما يسعون إليه بعيدا عن القرآن هو الهدف الأسمى لكتاب الله في إصلاح المجتمع وضبط أفراداه وجعله سويا متوازنا.

الكلمات المفتاحية: السلوك، التشبيه التمثيلي، الصورة الفنية، التربية

* المقدمة

إن من أهم الدراسات في العصر الحديث علوم التربية وصناعة الانسان وعلومه، لأنها تتعامل مع المخلوق الذي نزل لأجله القرآن، فراقب خصائصه - من جانبها- تربية وسلوكا انطلاقا من بيته وانتهاء بأرفع مستوى يصل إليه.

ومما حمل الباحث على هذا العمل ما لمستته من دور هذه النظريات التربوية في التعامل مع الانسان وسلوكه وتوجيهه بعيدا عن هذا النبع الصافي، فكانت دراساتهم مادية بحتة متعاملة ما توفره التجربة وتقتضيه المصلحة ويخدم رأي وتوجه نظرية معينة، فكل يسعى للبرهان على ما لديه بحسب

طريقته وهواه، فأردت بيان ما للقرآن من أثر قوي من خلال عباراته الرائعة وأثرها في تسوية السلوك وضبط النفوس وتوجيه الأفعال وتصويب الأخطاء في ظل هدي الدين الحنيف الذي جاء هادفاً إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

فكانت هذه نقطة البداية لي ومنطلق استمرارية لمن سبقني في هذا المجال في بيان أثر الخطاب في الأفعال وأثره في ضبط السلوك والانفعال بما يضمن سلامة الفرد والمجتمع، راجياً من الله الفائدة لمن تصله نتائجه

ويهدف البحث إلى إظهار وبيان العلاقة الوطيدة بين القرآن الكريم والانسان والكشف عن التأثير المباشر للخطاب القرآني المتمثل بالصورة الفنية والذي يعنى بتوجيه السلوك وضبطه ودور ذلك كله في الارتقاء بالمجتمع، والتوجيه السلوكي السليم، مع الكشف عن الصلة بين اللفظ القرآني وتأثير الانسان بهذا اللفظ إيجاباً وسلباً

ويمكن للبحث أن يجيب عما يلي: -

- ١- ما إمكانية تعديل السلوك أو التأثير فيه؟
- ٢- هل للقرآن الكريم تأثير على سلوك الانسان؟
- ٣- هل للخطاب القرآني أثر على البشر في تعديل السلوك أم مجرد ادعاء نظري لا واقع له؟

وتأتي الأهمية لهذا البحث كونه يشارك في أكثر العلوم في وقتنا الحاضر التي تدرس الانسان وسلوكه وإمكانية التأثير فيه في ظل التجاذبات الكثيرة التي تؤثر في تربيته وميول

الناس إلى الحلول المادية والدراسات التجريبية بعيداً عن الهدى الإلهي في ذلك.

إن الانسان هو محور هذا الكون الذي لأجله أنزلت الخيرات فلا يمكن إصلاحه بعيداً عن دستور القرآن الكريم الذي هو خطاب مولاه.

ويحتوي هذا البحث على التعريف بالتشبيه التمثيلي وتدرجه والتركيز على أهم من برز في هذا الفن، وللحديث عن أثر التشبيه في السلوك من خلال أثر الكلام في وجدان السامع، ودور الصورة الفنية في توجيه الفرد والمجتمع وبيان آراء علماء التربية والسلوك والمسلمين في تأثير الإنسان بالخطاب

* التشبيه التمثيلي

أولاً: المعنى اللغوي

التشبيه في اللغة هو التمثيل، وهو مصدر مشتق من الفعل (شبه)، يقال: شبهت هذا بهذا تشبيهاً، واشتهت الأمور وتشابهت، وشبه عليه الأمر: لبس عليه، والجمع أشباه، أشبه الشيء الشيء: ماثله^٢.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي

فهو اشتراك شيئين في صفة واحدة أو أكثر، وقد عرفه القزويني: (هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى)^٣ أما التمثيل فهو تشبيه من طريق العقل، والتشبيه التمثيلي هو ما كان وجه الشبه فيه صورة متترعة من متعدد، أو هو الذي

^٢ القزويني، الخطيب. الإيضاح في علوم البلاغة، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧١)، ٣٢٨.

^١ عتيق، عبد العزيز. علم البيان، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٢م)، ٦١.
^٢ ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري. لسان العرب، ج ٨، (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٣م)، ١٨.

يكون وجه الشبه فيه مركباً، وكلما زادت عناصر الصورة ازداد التشبيه التمثيلي عمقاً وبلاغة، ويحظى استخدام المجاز في اللغة اهتماماً كبيراً، فهو يثير في النفس دافع التفكير، ويؤدي بالتالي إلى الوصول للفهم بشكل أسرع وأدق، مما يسهل عملية اكتساب الحقائق والمفاهيم، والتشبيه أسلوب تعبري، وفن تعليمي، يوظف لإيصال المعاني، ويحتوي على قيم جمالية تربوية، للتأثير بالمستمع وتثبيتته في نفسه وتقريبه إلى ذهن السامع وقلبه، ويقوم تشبيه التمثيل على التقابل بين صورة وصورة أخرى، ويكون وجه الشبه فيه وصفاً منتزعا من متعدد أمرين أو أمور، وهو شكل بياني ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فقد ورد في القرآن بقوله تعالى: "مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا" بنس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين^٥، فصورة حال اليهود في جهلهم، كصورة حال الحمار الذي يحمل العلم والحكمة وجهله لما يحمل، فلا قيمة عنده لها سوى وزنها وتعبه في حملها، فالحمار لا ينتفع بما في حمله من حكمة وعلوم، وكذلك اليهود الذين يحملون التوراة الذي فيه ذكر النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم، وبقوا في جهالتهم لا يفقهون ما يحملون، فالصورة الأولى صورة حملهم للتوراة مشابهاً لصورة الحمار وحمله الأسفار، والصورة الثانية جهلهم لما يحملون وجهل الحمار بمحتوى حمله.

وللتشبيه التمثيلي أنواع لا تدرك إلا باستعمالها وتأدية وظيفتها، منتزع من متعدد، تصويري توضيحي، جمالي، إشاري تلميحي، ... ومعظمهم يؤدي لما يريده الله تعالى لخلقه من الاعتبار والتفكير، والتذكر وتحذير النفس، وتصويب السلوك، ونشر الوعي والعلم والتربية والهداية، وقد يدفع المسلم للقياس والتنظير والاستنتاج.

ويمتلك التشبيه التمثيلي في القرآن سمات متعددة كالدقة في الملاحظة، والواقعية المستنتجة من الإحساس والطبيعة النباتية والحيوانية، بقصد الترغيب والترهيب، وما يتركاه في النفس البشرية بإطار قصصي توجيهي، بالإضافة لتوضيح المعنى المراد، وإنتاش مقاصد ومعاني متجددة، توافق التعلم وتنهض بالعقول وتحيي الوجدان، وترتقي بالعلم والتعلم.

ثالثاً: التشبيه التمثيلي في القرآن

يعد التشبيه التمثيلي من أدوات التعبير القرآني أو أساليبه، لأنه يعبر عن الأفكار بعمق، متلوناً بين التشخيص والتجسيد، من المجرد والمعنوي إلى المحسوس وبالعكس، مناظراً بذلك بين الوعي والوجدان والحس والذهن، ويتألف التشبيه بشكل عام من أربعة أركان: مشبه ومشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه، ويتم كشف نوع التشبيه من خلال وجود أحد أركانه أو حذفها، أما التشبيه التمثيلي فيتجلى من خلال ربط علاقة تشابه بين صورة وصورة أو مشهد وآخر.

^٥ الجمعة، ٥.

^٦ ديب، محي الدين، ومحمد أحمد قاسم، علوم البلاغة البيان والبيدع والمعاني، ط١، (لبنان طرابلس: المؤسسة الحديثة للكتاب، ٢٠٠٣)، ١٦٧.

كثرت أنواع التشبيه في القرآن وتجاوزت مئتي تشبيه، بين الضمني والمرسل المحمل والبليغ والمقلوب، والتمثيلي الذي بلغ ٦٠٪ من مجملها، وقد اتفق علماء اللغة على إطلاق كلمة الصورة الفنية على التشبيهات والاستعارة، بمعنى عام وهو (تجسيد المعنويات في صورة المحسوسات التي تُرى بالأبصار)^٦، ولكن ما الذي يعنيه التشبيه التمثيلي؟

رابعاً: تاريخ التشبيه التمثيلي

يعتبر التشبيه التمثيلي من أقدم وأبلغ أساليب التعبير، وقد اهتم العرب قديماً باستخدامه لما يقدمه من وضوح في المعنى وقوة في التأثير، وما يختصره من شرح فيوجز في عدد كلمات التعبير والشرح، وكذلك وصل استخدامه في القرآن الكريم لما فيه من جمال التصوير وما يصعب على البشر التعبير عنه، فجاءت البلاغة فيه متأصلة متجددة، بتفاوت في القوة والتأثير، فكانت تدخل وعي وعقل السامعين بعمق شديد مما يكسبها شدة التأثير وبلاغة التصوير.

لقد مر التشبيه التمثيلي بمراحل عديدة إلى أن تطور، وسنحاول عرض هذا الفن بحسب التسلسل الزمني للوفاة، فنبدأ بأبي عبيدة معمر بن المثنى (٢١١ هـ)، في كتابه مجاز القرآن؛ فله السبق في لفظة المجاز التي لم تكن تعني معناها

اليوم، فيقول ابن تيمية: "أول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه، ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة، وإنما عنى الآية ما يعبر به عن الآية"^٧، أي بمعنى الشرح والتفسير، يقول تعالى: "فإذا قرأناه فاتبع قرآنه"^٨، بالمعنى المجازي: فإذا أنزلنا بعضه إليك فقم بالعمل به واحفظه^٩، فاختار أبو عبيدة ما يوافق التأويل لعدة معانٍ منسجماً مع ما يشابه أساليب الشعراء القدماء، ثم تحول لشرح التشابه والكنائيات والحذف والتكرار والتأخير والتقديم... وتحدث أيضاً عن التمثيل فقد ورد لديه قوله تعالى: "على شفا حُرْفٍ هارٍ"^{١٠}، فنسبها للتمثيل^{١١}، وقال الدارسون أن التمثيل عند أبي عبيدة هو تشبيه التمثيل، فيشرح أحمد مطلوب: "ليس في هذا التفسير ما يعطي الفرق الواضح بين اللونين"^{١٢}، بقصد التشبيه والتشبيه التمثيلي، وتأييد ذلك تفسيره لقوله تعالى: "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك"^{١٣}، حيث يقول أبو عبيدة: مجازه في موضع قولهم: لا تمسك عما ينبغي لك أن تبذل من الحق، وهو مثل أو تشبيه^{١٤}، فكلمتي مثل عند أبي عبيدة "أو تشبيه" تعني التشبيه التمثيلي، وذلك من قول أبي عبيدة نفسه عندما فسر قوله تعالى: "وتلك الأمثال نضربها للناس"^{١٥}، فقال: مجازها: هذه الأشباه والنظائر نختج بها^{١٦}، كما نجد أن

^٦ شادي، محمد إبراهيم عبد العزيز. الصورة بين القدماء والمعاصرين، ط١، (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٩١م)، ١٨.
^٧ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. الإيمان، ت: صدقي جميل عطار، ط١ (بيروت: دار الفكر، ١٤١٩هـ)، ٧١.
^٨ القيامة، ١٨.
^٩ أبو عبيدة، معمر بن المثنى. مجاز القرآن، ت: أحمد فريد المزيدي، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦)، ١٣. بتصرف.
^{١٠} التوبة، ١٠٩.

^{١١} أبو عبيدة، مجاز القرآن، ١٠٦.
^{١٢} مطلوب، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، (بيروت: مطبعة لبنان، ٢٠٠٠)، ٣٣٢.
^{١٣} الإسراء، ٢٩.
^{١٤} أبو عبيدة، مجاز القرآن، ١٤٣.
^{١٥} العنكبوت، ٤٣.
^{١٦} أبو عبيدة، مجاز القرآن، ٢١١.

أبا عبيدة ربط بين مفهوم التشبيه ومفهوم الكناية في تفسير قوله تعالى: "نساؤكم حرث لكم"^{١٧}، فيقول: هو كناية وتشبيه، فكان ذلك تشبيهاً بليغاً، فقد حذف أداة التشبيه ووجه الشبه، ومنه فقد وصل أبو عبيدة لمفهوم التشبيه التمثيلي بالمعنى الاصطلاحي، غير أنه بقي ضمن الفهم اللغوي للمصطلح، وكما فسر محمد أبو موسى أن أبا عبيدة لا يتعدى فهمه للصور البيانية الفهم اللغوي، فكلمة مجاز عنده طريق المعنى، وكلمة تمثيل ترادف كلمة تشبيه^{١٨}، أما ابن قتيبة الدينوري ت: ٢٧٦هـ، في كتابه تأويل مشكل القرآن، فقد تناول التمثيل: (وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها: طرق القول، وما أخذ، ففيها: الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار....)^{١٩}، في حين كثر لديه استخدام كلمة المجاز، كما استخدمها أبو عبيدة بكثرة، وبقي استخدام مفهوم المثل والتشبيه كما ورد عند أبي عبيدة، ثم جاء قدامة بن جعفر ت: ٣٢٧هـ، في كتابه نقد الشعر، فتحدث عن التشبيه، وفسر التمثيل وجعله توافق المعنى مع اللفظ، فالتمثيل عنده يختلف عن التشبيه، فقد قال: (ومن نعوت اختلاف اللفظ والمعنى: التمثيل، وهو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى، فيضع كلاماً يدل على معنى آخر...)^{٢٠}، في حين أن المعنى الذي أراده قدامة يندرج تحت مسمى الكناية

أو التورية، أو فيما سماه الباحثون الجدد بمسمى الاستعارة التمثيلية.

من هنا نرى أن التشبيه التمثيلي بقي غامضاً نوعاً ما من حيث المفهوم والاستخدام والتسمية فأبو هلال العسكري ت: ٣٩٥ هـ، وكتابه الصناعتين، قد جعله في خمسة وثلاثين فصلاً، ما يهمننا منها الفصل التاسع الذي سماه المماثلة، فقد قال العسكري: المماثلة أن يريد المتكلم العبارة، فيأتي بلفظة تكون موضوعاً لمعنى آخر: إلا أنه ينبيء إذا أورده عن المعنى الذي أراده^{٢١}، ولم يتعد بذلك عن ما أراده سابقوه، ولم يأت بجديد، ويورد لنا قول بعض الشعراء:

جعلت يديّ وشاحاً وبعض الفوارس لا
فجعل من قوله جعلت يديّ وشاحاً له تمثيلاً^{٢٢}،
فالمماثلة تطابقت عند أبي هلال مع التمثيل عند قدامة، وقد أطلقوها على الكناية والاستعارة والتشبيه، مما يدل على أن التمييز بين الاستعارة والتشبيه والكناية لم يكن موجوداً.

ومروراً بأبي بكر الباقلاني ت: ٤٠٣ هـ، وكتابه إعجاز القرآن، والذي لم يتعد كثيراً عن سبقه باستخدام لفظ المماثلة، لكنها اقتربت عنده من الاستعارة حيث قال: (ومما يعدونه من البديع المماثلة؛ وهي ضرب من الاستعارة)^{٢٣}، فابن رشيق القيرواني ت: ٤٦٣ هـ، وكتابه

^{٢١} أبو هلال العسكري، الصناعتين، ت: مفيد قميحة، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٩)، ٣٨٩. وذكر الشعر دون نسبته لقائله في كتاب الصناعتين.

^{٢٢} أبو هلال العسكري، الصناعتين، ٣٩٢.

^{٢٣} أبو بكر الباقلاني، محمد بن الطيب. إعجاز القرآن، ت: عماد الدين أحمد حيدر، ط٤، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ب ت)، ٦٨ - ٦٩.

^{١٧} البقرة، ٢٢٣.

^{١٨} أبو موسى، محمد. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، (القاهرة، دار الفكر، ب ت)، ١٤١.

^{١٩} ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. تأويل مشكل القرآن، ت: السيد أحمد صقر، (القاهرة: المكتبة العلمية، ١٩٥٤)، ٢٠ - ٢١.

^{٢٠} قدامة بن جعفر. نقد الشعر، ت: محمد عبد المنعم خفاجي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ب ت)، ١٥٩ - ١٦٠.

العمدة في صناعة الشعر ونقده، حيث أسهب في التفصيل المشابه لأبي هلال، وجعل التمثيل من ضروب الاستعارة، حيث يقول: (وذلك أن تمثيل شيئاً بشيء فيه إشارة)^{٢٤}، في توافق مع أبي هلال العسكري وقدامة ابن جعفر، وبقي في دوامة الكناية والتشبيه الاصطلاحي، إلا أننا نقرأ له قوله: (والتمثيل والاستعارة من التشبيه، إلا أنهما بغير أدواته، وعلى غير أسلوبه)^{٢٥}، وكذلك بقي التمثيل ضمن هذا الإطار عند المتأخرين بعده كابن سنان الخفاجي^{٤٦٦ هـ}، وابن أبي الإصبع المصري ت: ٦٥٤ هـ، والقاسم السجلماسي ت: ٧٠٠ هـ، ومرعي الحنبلي ت: ١٠٣٣ هـ، أما الرماني ت: ٩٩٤ هـ، ورسائله النكت في إعجاز القرآن، فقد جعل التشبيه حسي وعقلي، وسمى الحسي تشبيه حقيقة، والثاني تشبيه بلاغة^{٢٦}، وعرف التشبيه البليغ بأنه: (إخراج الأعمض إلى الأظهر، بأداة التشبيه، مع حسن التأليف)^{٢٧}، وبذلك بقي مصطلح التمثيل كسابقه إشارة أو كناية أو تشبيهاً أو استعارة، في حين أنهم ميزوه مخالفاً للتشبيه، وذكر بعضهم فوائده ودوره في البلاغة والفصاحة، والرماني سماه تشبيه البلاغة، مما يدل على تمييز شكل وصفات التشبيه التمثيلي واكتشافه وتفرده.

خامساً: التشبيه التمثيلي عند عبد القاهر الجرجاني

أما عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة فيميز بين التشبيه والتمثيل، وأن وجه الشبه في التشبيه حسيّاً، أما التمثيل فوجه الشبه فيه عقلي غير حقيقي، نصل إليه بالتأويل^{٢٨}، وخالف الجرجاني معاصريه وسابقه بنظرة مختلفة للتشبيه أقرب للنظرة النقدية، فقد قسم التشبيه إلى ستة: -

١- التشبيه الجلي الواضح، والتشبيه الخفي: فجعل للتشبيه الجلي مستويات ثلاث: (واضح، ومؤول، وحسي)^{٢٩}، والتشبيه الخفي (وهو التمثيل) والذي يحتاج للتأويل وهو عنده ثلاثاً: القريب السهل؛ كقوله: ألفاظه كالماء في السلاسة، فهو لا يشبهه معناه ولا يصعب الوقوف عليه وليس هو بغريب وحشي مستكره^{٣٠}، مما يربط التشبيه وفهمه بحالة المتلقي العلمية والنفسية، مما يفرض وجوب حضور المتلقي دائماً، أما الثاني فيحتويه الخفاء ويستلزم التأويل ويحتاج إلى إعمال الفكر لتفسيره وبيان معناه، وبين ذلك الجرجاني بقوله: (ألا ترى أنه لا يفهمه حق فهمه إلا من له ذهن ونظر يرتفع به عن طبقة العامة)^{٣١}، أما التشبيه الثالث الخفي عند الجرجاني فهو أعلى مستويات التشبيه لدقته؛ (فلا تراه إلا في الآداب والحكم المؤثرة عن الفضلاء وذوي العقول الكاملة)^{٣٢}.

^{٢٤} ابن رشيق، أبو علي الحسن. العمدة، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، ج ١، (بيروت: دار الجيل، ب ت)، ٢٧٧.
^{٢٥} ابن رشيق، العمدة، ج ١، ٢٨٠.
^{٢٦} ضيف، شوقي. البلاغة تطور وتاريخ، ٧٤.
^{٢٧} الرماني، علي بن عيسى بن عبد الله. النكت في إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ت: محمد خلف الله ومحمد زغول سلام، (مصر: دار المعارف، ب ت)، ٧٥.

^{٢٨} الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة، ت: محمود شاكر، ط ٢، (جدة: دار المدني، ١٩٨٩)، ٩٠.
^{٢٩} الجرجاني، أسرار البلاغة، ٩٢. بتصرف.
^{٣٠} الجرجاني، أسرار البلاغة، ٩٣.
^{٣١} الجرجاني، أسرار البلاغة، ٩٤.
^{٣٢} الجرجاني، أسرار البلاغة، ٩٤.

٢- التشبيه العام والتشبيه الخاص: وقصد بالتشبيه العام التشبيه التقليدي الدارج بين الناس، وأما الخاص فهو ما حوى إبداعاً وابتكاراً وجددة، بمعنى قربه من التمثيل، فيقول: (فاعلم أن التشبيه عام، والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيل)^{٣٣}، والعام عنده ما وضع فيه المشبه والمشبه به، ووجه الشبه لا يحتاج إلى تفكير وتمعن، لتشارك الصفات بينهما، يقول موضحاً التشبيه العام: (هو ما كان وجه الشبه فيه أمراً بيناً بنفسه لا يحتاج إلى تأويل، وصرف عن الظاهر، لأنّ المشبه مشارك للمشبه به في صفته)^{٣٤}، ويجب أن يكون واضحاً بين صفات المشبه والمشبه به، ويجب أن يتعد عن لفظ المثل، مع إمكانية قلب المشبه مع المشبه به، مما يجعل التشبيه العام واضحاً سهل الوصول، فهو لا يتطلب التأويل.

أما الخاص: الذي خصه الجرجاني بلزوم لفظ التمثيل له، وجعله فرعاً، فهو سهل الوصول عند المتلقي كونه مقترن بلفظ مثل، ويحتاج من المتلقي لتأويل يناسب الوصول للمعنى، فهو غير واضح ويحتاج إلى استنتاج وجه الشبه بين المشبه والمشبه به، وهذا التشبيه (التمثيل): (هو ما لا يكون وجهه أمراً بيناً، بل يحتاج تحصيله إلى تأويل وصرف عن الظاهر، لأنّ المشبه لم يشارك المشبه به في صفته الحقيقية)^{٣٥}، فضبابية المعنى وغموضه سمة تميزه تدفع المتلقي للتأويل، والسعي للتفسير، وكون التشبيه الخاص فرع ممتد من التشبيه العام فقد اكتسب قوة ومتانة وجاذبية منحتة إياها الإبداع والتجديد،

في حين أن التشبيه الخاص لا يمكن عكسه أو قلبه، ويشير الجرجاني إلى أن محاولة قلب التشبيه الخاص يجعل المعنى صعباً وسبيل الفهم وعراً، مما يوجب التأمل والتأويل لفهم علاقة المماثلة والتشبيه، يقول: (وإذا كان الأمر كذلك، علمت أن طريقة العكس لا تجيء في التمثيل على حدها في التشبيه الصريح، وأنها إذا سلكت فيه كان مبنياً على ضرب من التأويل والتخيل يخرج عن الظاهر خروجاً ظاهراً)^{٣٦}، ولعل القلب يستوجب عملية تأويل أكبر من التأويل الأول، وجهد يتطلبه الفهم للتفسير للوصول للعلاقة المتبادلة بين طرفي التشبيه، وهذا ما دفع الجرجاني لجعل التشبيه الخاص (التمثيل) ضربين: غريب؛ كخروج شخص عن صفة أقرانه بالصفات الحميدة وتفوقه عليهم وخروجه عن صفاتهم العامة، مستشهداً

ببيت من الشعر:

وإن تفق الأنام وأنت منهم وإن المسك بعض دم الغزال

فالممدوح خرج عن صفة جنسه، فامتلك فضائل تناهت عن المقارنة أو المشابهة بهم، فيصعب بذلك القلب، ويحتاج إلى متلقٍ يمتلك أفقاً خاصاً كبيراً يللم فيها ضروب التماثل والتشابه.

والضرب الثاني من (التمثيل) هو (ألا يكون المعنى الممثل غريباً نادراً يحتاج في دعوى كونه على الجملة إلى بينة وحجة وإثبات)^{٣٧}، لرفض المتلقي أن يسبح في العمق ويبقى أمر التأويل واضحاً والوصول سريعاً؛ فالذي قصده الجرجاني

^{٣٥} عرفة، عبد العزيز. تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، ٥٢٢.

^{٣٦} الجرجاني، أسرار البلاغة، ٢٢٦.

^{٣٧} الجرجاني، أسرار البلاغة، ١٢٣.

^{٣٣} المصدر نفسه، ٩٤.

^{٣٤} عرفة، عبد العزيز. تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، ١ ط (القاهرة: الأزهر، دار الطباعة المحمدية، ١٩٨٣)، ٥١٩.

بهذا الضرب من التمثيل هو عدم الفائدة المرجوة من استحضاره، فلا قيمة لعمل ليس له غاية.

ولعل تفريق الجرجاني بين التشبيه والتمثيل دفع من جاء بعده للدمج بينهما كضياء الدين بن الأثير ت: ٦٣٧هـ، الذي أنكر الفارق بينهما وجعلهما شيئاً واحداً بقوله: (وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل، ... وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، وما أعلم كيف خفي ذلك على أولئك العلماء)^{٣٨}، فقد أهمل ابن الأثير الناحية البلاغية واهتم بالنظرة اللغوية، فالتشبيه عنده هو تماثل أو تمثيل، ولا يمكن الفصل بين التمثيل والتشبيه فكلاهما لمعنى مشترك.

٣- التشبيه المبتذل والتشبيه المبتدع: فالتشبيه المبتذل هو التشبيه الذي شاع بين المستخدمين، فهو واضح بين لا غرابة للمعنى فيه، يقول الجرجاني: هو ليس (غريباً نادراً يحتاج في دعوى كونه على الجملة إلى بينة وحجة وإثبات)^{٣٩}، فهو واضح قريب من التشبيه العام، ومبتذل كون الشعراء قد وظفوه في أشعارهم، لأنه واضح للمتلقى وليس له تأثير كبير عليه، ولا يحتاج للتعلم فيه، وله تأثير غير إيجابي نفسياً، وهنا نستنتج أن الحالة النفسية للمتلقى تهم الجرجاني، فالإبداع هو ما يهيمه وتأثير التشبيه له الدرجة الأولى في تحديد رتبته، فكثر الاستخدام تفقد التشبيه إبداعه، وربما احتاج التشبيه المبتذل

إلى تطوير باستخدام تقنية ما يجعله إبداعياً، فكل إدخال جديد للتشبيه المبتذل يمنحه الألق ليتحول إلى مبتدع.

أما التشبيه المبتدع فهو يخالف المبتذل لما يحتويه من خصوصية أو تفرد عن غيره، ولغرابته ينفرد عن الشبوع، ويأتي ذلك من المسافة بين طرفي التشبيه، وهو مستحسن عند الجرجاني ويعلل ذلك: (وهكذا إذا استقرت التشبيهات، وجدت التباعد بين الشيعين كلما كان أشد كانت إلى النفوس أعجب وكانت النفوس لها أطرب)^{٤٠}، مما يدفع للتعرف على النفس البشرية التي قد تألف الحديد والغريب، وتسأم من المؤلف المكرر المعتاد، وكذا هو الجرجاني الذي يهتم بالمتلقي وحالته النفسية، مما يستلزم ضرورة التجديد والإبداع والبحث عن الغرابة والتفرد في توظيف التشبيه، فكلما جاء التشبيه ظريفاً ينتقل بعيداً في الخيال كان التشبيه أروع للنفس وأدعى إلى إعجابها واهتزازها^{٤١}، ناهيك عن شغف المتلقي بالخيال الذي يتعد به عن الواقع القاسي والمؤلم.

ورغم غرابة التشبيه المبتدع أحياناً وحاجة المتلقي للتفكير في المعنى، والتعمق في النظر للوصول للمراد إلا أنه يبقى أمتع في الوصول، وأطرب في سبر أغوار المعنى وكشف أحجية البعد والقرب بين المتشابهين، ويبقى لهذا التشبيه صفة صعوبة الوصول، وذلك لحاجة المتلقي للخيال لفك الرموز، متغافلين عن صدق التعبير والتشبيه، ومما جعل الجرجاني يفضل المبتدع على المبتذل؛ كون الأول مقياس يفضل فيه البلغاء عن

^{٣٨} ابن الأثير، ضياء الدين. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط٢، ج٢، (الرياض: منشورات دار الرفاعي، ١٩٨٣)، ١٢٣.
^{٣٩} الجرجاني، أسرار البلاغة، ١٢٣.

^{٤٠} الجرجاني، أسرار البلاغة، ١٣٠.
^{٤١} الجويني، مصطفى الصاوي. البلاغة العربية - تأصيل وتجديد، (الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٨٥)، ٩١.

الثاني؛ الذي يشترك فيه معظمهم دون قياس، ومع ضرورة الانتباه لعدم الإغراق في الغرابة التي توصل إلى عدم الفهم والضبابية، بل يجب أن تحد وتقيّد، بحيث لا يكون الوصول محالاً، ولا غنى عن المبتذل كون الشيء يعرف بضده، فليس كل المتلقين بمستوى واحد كي يُهمل المبتذل، ولعل الجرجاني جعل من توظيف هذين التشبيهين مقياساً ي: للتفاضل بين الشعراء.

٤- التشبيه الإجمالي والتشبيه التفصيلي: يعتمد العقل البشري على استقبال الإجمال ومن ثم الانتقال للتفصيل، هنا يأتي جمال التشبيه يبدأ مجماً وينتهي تفصيلاً، والإنسان الذي يكتسب الجمال بإدراكه الحسي المحمل ثم ينطلق لاستنطاق التفاصيل، ويعلق الجرجاني على ذلك بقوله: (اعلم أن معرفة الشيء من طريق الجملة غير معرفته من طريق التفصيل)^{٤٢}، وحكم على الناس على النظرة الأولى بالحمقاء، فهي قاصرة عن الوصول تماماً، فلا بد من التأمل والتفكير للوصول للمراد، والتشبيه الإجمالي لا يمكن إدراكه إلا بإدراك التفاصيل التي تجتمع وتؤدي للمحمل.

هنا يكون المجال مفتوحاً لمحاولات الإبداع بين الشعراء والتماس معايير للتفاضل، والوصول للجمال المستهدف من وراء التوظيف، ولم يكتف الجرجاني بذلك بل تجاوز ذلك إلى إدراك التفاصيل الجزئية لجماله^{٤٣}، فالتشبيه والتسلسل بين وظائف الحواس لنقل الفكرة من المجال النظري للتطبيقي ليستوعبها المتلقي؛ هو ما ينطبق على التشبيه الذي

ينتقل من الإجمالي إلى التفصيلي، ويعتمد الجرجاني في توضيح التشبيه التفصيلي على الحواس وربطها به، وما يؤديه من دور ولما له من مكانة: (ثم تعلم أنك في إدراك تفصيل ما تراه وتسمعه وتذوقه، كمن ينتقي الشيء من بين جملة، وكمن يميز الشيء، مما قد اختلط به، فإنك حين لا يهملك التفصيل، كمن يأخذ الشيء جُزأً وجُزأً^{٤٤})، ويتطلب فهم التشبيه التمثيلي للتبصر واختيار المقاييس، مما يساعد على تذوق الجمال وفنية التشبيه والصورة، وهذا يمر عبر التحرك من المحمل إلى التفصيلي، وأظهر الجرجاني تفضيله التشبيه التفصيلي على التشبيه المحمل، والجرجاني استوجب وجود مجموعة شروط لتحسين التشبيه التفصيلي، كتجميع التفصيلات، فـ(الإبداع في التشبيه لا يتجلى في أبهى صورة إلا من خلال الوحدة وليس التفرق)^{٤٥}، فكلما زادت التفصيلات زاد الإبداع والجمال، مما يدفع بالشاعر المتلقي إلى الإكثار من التشبيه التفصيلي والإقلال من التشبيه المحمل.

٥- التشبيه المشترك: يعتمد هذا التشبيه على صفة هي المحور، وطرفان هما نفس الصفة ومقتضاها: (إن الاشتراك في الصفة يقع مرة في نفسها وحقيقة جنسها، ومرة في حكم لها ومقتضى)^{٤٦}.

فالتشبيه المشترك في الصفة، هذه الصفة موجودة في كلا طرفي المشبه والمشبّه به، وقد يزيد أحدهما على الآخر في هذه الصفة، فرتبة الجمال فيه مصدرها منبعه وغالباً ما تتعلق

^{٤٤} الجرجاني، أسرار البلاغة، ١٦٠.

^{٤٥} الجرجاني، أسرار البلاغة، ١٩٢.

^{٤٦} الجرجاني، أسرار البلاغة، ٩٨.

^{٤٢} الجرجاني، أسرار البلاغة، ١٥٧.

^{٤٣} حجاب، سيد عبد الفتاح. منهج عبد القاهر بين الموضوعية والذاتية، (القاهرة: مجلة كلية اللغة العربية، ع ١٠، ١٩٨٠)، ١٦٠.

في الطبيعة، ويصف الجرجاني هذا التشبيه بالتشبيه الحقيقي^{٤٧}، ونستطيع وصفه بالتشبيه المباشر، في محاولة المقارنة بين طرفي التشبيه، فإن نتيجة هذه المقارنة انسحاب بعض صفات المشبه به على المشبه^{٤٨}، أما التشبيه المشترك في مقتضى الصفة: ليس مباشراً بل يكون حول الصفة أو جنسها أو ما يقترب من خصائصها، وغالباً ما يكون تشبيه الصفة مقدمة لتشبيه مقتضى الصفة مما يولد الإبداع، ويحاول الجرجاني شرحه بربط بين تذوق الطعام الخلو والكلام المستحسن الجميل؛ فيقول: (الاشتراك في الصفة نفسها، أسبق في التصوير من الاشتراك في مقتضى الصفة، كما أن الصفة نفسها مقدمة في الوهم على مقتضاها)^{٤٩}، ويبين لنا الجرجاني أن الكلمة الملفوظة المسموعة بمعناها تتناسب مع طعم العسل، وليس التشبيه في الطعم والسمع، بل بمقتضى أثره؛ فآثر الكلام الطيب على النفس يشبه أثر العسل على الجسد، فالكلمة الطيبة بآثرها البالغ وبمقتضى معناها ومضمونها وسياقها قد يفوق وقعها على النفس ما لا تقوم به العقاقير والأدوية، وكذلك أثر العسل الذي يدخل في تركيبه ويشارك بشتى أنواع الأدوية للجسد، يقول الجرجاني: (القصد أن يخبر بأن السامع يجد عند وقوع هذا اللفظ في سمعه حالة في نفسه، شبيهة بالحالة التي يجدها الذائق للحلاوة من العسل...)، ورغم الوضوح في الوصول لا بد من التأويل، ولا بد من إعمال الخيال، مما يجعل التشبيه بمقتضى الصفة راقياً وبلغاً لعدم الوصول إليه بشكل مباشر،

وهنا الإبداع مرتبط بحالة المتلقي النفسية، ومدى قدرة الشاعر الإبداعية.

٦- التشبيه الصريح والتشبيه المعكوس: التشبيه الصريح هو أن يتم اختيار المشبه به من البيئة المألوفة أو المحيط المكاني، واعتماد تشبيه الأقل شأنًا بالأكثر شأنًا، والعادي بالمثالي، للارتقاء بالمشبه به، كما اعتاد العرب (على تشبيه الأدنى بالأعلى)^{٥١}، فهو تشبيه تقليدي مباشر صريح، وجعل الجرجاني لهذا التشبيه صفتان الأولى ذكر المشبه أو المشبه به بأسلوب صريح، وأورد الجرجاني مثلاً تأتي بالمشبه معرفة والمشبه به نكرة، وحذف الأداة، والشرط الثاني أن يأتي المشبه والمشبه به معرفتين، وهنا يجب الإتيان بأداة تشبيه: (إن التشبيه إذا كان صريحاً بالكاف ومثل، كان الأعراف الأشهر في المشبه به أن يكون معرفة)^{٥٢}، أما إذا جاء المشبه به اسماً نكرة، فلا بد أن تأتي صفة بعده، فيصبح قريباً من المعرفة كقولنا: زيد أسدٌ مغوار.

أما التشبيه المعكوس (المقلوب)؛ وهو جعل المشبه به مشبهاً والمشبه مشبهاً به، وما ذلك إلا لضرورة المبالغة في التشبيه، يقول الدكتور بكري أمين موضحاً يأتي: (التشبيه المعكوس أو المقلوب طلباً للمبالغة بادعاء أن وجه الشبه في المشبه أقوى منه في المشبه به، وقد شاع ذلك واتسع حتى صار كأنه الأصل في التشبيه)^{٥٣}، فالبحت عن العلو في المشبه به قد لا يكون بما هو مرتجى، وهنا يكون وجه الشبه

^{٥١} شيخ أمين، بكري. البلاغة العربية في ثوبها الجديد - علم البيان، ط٢، ج٢، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠)، ٥١.
^{٥٢} الجرجاني، أسرار البلاغة، ٢٤٦ - ٢٤٧.
^{٥٣} شيخ أمين، بكري. البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ٥١.

^{٤٧} الجرجاني، أسرار البلاغة، ٩٩.
^{٤٨} السيد، شفيق. التعبير البياني - رؤية بلاغية نقدية، (القاهرة: دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ١٩٨٢)، ٣٧.
^{٤٩} الجرجاني، أسرار البلاغة، ٩٩.
^{٥٠} الجرجاني، أسرار البلاغة، ٩٨.

أو المرتبة الأعلى للمشبه، مما يجعله مقلوباً وأورد الجرجاني أمثلة على تحويل التشبيه الصريح لتشبيه مقلوب أو معكوس، منه قول أحدهم:

وبدا الصباح كأنَّ غرته وجه الخليفة حين يُمدَّح^{٥٤}
فقد نسب الكمال في الضياء لوجه المأمون، وجعل نور الصباح مأخوذاً منه، (فاستقام له بحكم هذه النية أن يجعل الصباح فرعاً ووجه الخليفة أصلاً)^{٥٥}، فخالف العرف والشروط وجعل المشبه به مشبهاً والمشبه مشبهاً به، جاعلاً الخيال أساس التشبيه مبتعداً عن الواقع، مما يشير إلى إتقان البلاغة وبراعة التصوير، مما يجلب الدهشة والجذب للمتلقي، وبذلك عدل الجرجاني (من الفكرة القائلة بأن المشبه به يجب أن يكون أكثر تمكناً في الصفة من المشبه ...)^{٥٦}، فكان تصنيف الجرجاني مخالفاً لمن سبقه بمنح المرونة في التوظيف، ودليل على أن النظم النقدية وجدت من أجل مراقبة المستجدات الأدبية وليس لتطويقها ومنعها من الإبداع.

وكذلك سوغ التشبيه المقلوب وأنكره على التشبيه التمثيلي، رغم أنه مشتق من التشبيه الصريح، فبذا يدل على أن تجديد التشبيه لا يحصل إلا في الأصل؛ وهو التشبيه الصريح، ويرى أن المقلوب إن حصل في التشبيه التمثيلي فسيغرق في الخيال، وسيعتمد على التأويل: (وأما إذا سلكت فيه كان مبنياً على ضرب التأويل والتخيل يخرج عن الظاهر

خروجاً ظاهراً، ويبعد عنه بعداً شديداً)^{٥٧}، مما يؤدي إلى نفور المتلقي، وبالتالي سقامة المعاني بسبب إغراق المبالغات.

لقد ظهرت دراسة الجرجاني بنظرها العميقة النقدية أن موظفو التشبيه كانوا يدرجونهم لأهداف نقدية عميقة، وكذلك ظهر الجرجاني ناقداً فذاً خالف معاصريه وأقرانه في دراسة التشبيه وتقسيمه، متدرجاً من الأسهل إلى الأصعب والأبعد والأغرب،

سادساً: أثر التشبيه في التربية وتعديل السلوك

يقوم التشبيه بإبراز المعاني وتحويل المتلقي من الغموض إلى الوضوح ومن الذهني إلى المحسوس والمحسوس أقرب وأسرع وصولاً، وأكثر تأثيراً في المتلقي، وأقوى معالجة في النفوس؛ ويبين الجرجاني (أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأثيرها بصريح بعد مكني.... نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس)^{٥٨}، وكذلك تحريك التأثير في النفس وإثارة الوجدان، فيجلي الشك والظن، ويثبت اليقين والحقيقة، ويحدد قيمة وحجم المشبه، فيصل بالمتلقي لبيان تحصيل القيمة التي أريد لها من التشبيه.

وما يحققه من الجذب والتشويق للمناقب التي يدعو لها، فيجعلها مرغوبة وأسرع وصولاً وأعمق تأثيراً في النفس، فتدفع المتلقي لرصد صفاته ومقارنة أفعاله فتسعى لتسوية السلوك وتنقية الأخطاء.

^{٥٤} صمود، حمّادي. التفكير البلاغي عند العرب – أسسه وتطوره إلى القرن السادس، (تونس: منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨٨)، ٥٤٦.
^{٥٥} الجرجاني، أسرار البلاغة، ٢٢٦.
^{٥٦} الجرجاني، أسرار البلاغة، ١٢١.

^{٥٧} عتيق، عبد العزيز. علم البيان، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٢م)، ٩٨. البيت منسوب لمحمد بن وهيب الحميري في مدح المأمون.
^{٥٨} الجرجاني، أسرار البلاغة، ٢٢٣.

ناهيك عن كونه يقرب بين شيئين فيكون اللطف والأنس، بعد التنافر والتباعد، فالتشبيه التمثيلي (يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين)^{٥٩}، مما يولد معانٍ جديدة، وكذلك يثير في النفس المشاعر والذكريات، ويحرك الحواس فتنتقي الأفضل والأحسن.

١- أثر الصورة الفنية في وجدان السامع: تقوم الصورة الفنية على أساس الكلمة وبما تحمله من معنى وموسيقا فتفسح المجال للخيال، منطلقاً من المؤلف ومشاعره ودوافع كتابته، فيلجأ للصورة الأكثر تأثيراً من التعبير المباشر، فهي التي تقرب الحكمة والنصح والإرشاد، وكما كانت بداية اللغة والكتابة قديماً مرتبطة بالصور للتعبير، فقد تطورت للتعبير عما يريده المتكلم بشكل فني يوصل المعنى بأسلوب مشوق، وقد يكون في الخروج عن المؤلف إبداع في الوصول وتحديد في التحصيل، ولا شك في أنها تقوم أولاً على لفت السامع وجذب الانتباه.

١- جذب الانتباه: يعتمد جذب الانتباه على عدة عوامل منها قوة مثير التنبيه وما يرسله من إشارات أو أصوات أو شيئاً غير مألوف، مما يحفز الانتباه ويعمل الإثارة، وإذا ما كانت في الصورة الفنية فبما توحيه من حركة أو صوت أو أداء، فإذا ما كان صوتياً تصويرياً كان أقوى، وكذلك يزداد الجذب والتشويق كلما كان القائم به ذو شأن أو مثيرة، فمحاولة جذب الانتباه من إنسان عادي يكون له تأثيراً عادياً؛ أما إذا كان ذا شأن ومرتبة يكون الجذب أقوى وأكثر فعالية، وكذلك لحجم الصورة التي تقوم بالجذب أثرها البالغ، فكلما كبرت الصورة ازداد جذبها وتأثيرها في الذهن، وقد

يكون لما تحمله هذه الصورة من تناقضات وأضداد، ولتكرارها الدور الأكبر، وهذا ما وجدناه في القرآن الكريم حين تكررت الصورة التي تصف الكافرين أو المنافقين، هذا قد يكون من العوامل التي لها التأثير من خارج المتلقي، أما العوامل التي تكون داخل المتلقي؛ فهي الحاجة أولاً لما يتم جذب الانتباه إليه، فالعطشان يجذب انتباهه عرض المشروبات الباردة، والجائع يلفت انتباهه عرض الأطعمة والمأكولات....، وفي داخل كل إنسان وجهة ذهنية ودافع تهيؤ للانتباه؛ وذلك بحسب تكوينه العقلي والعلمي، فالأم يوقظها صوت طفلها وحركته، في حين أنها قد لا تكثر لصوت الرعد والعاصفة ليلاً.

فلا بد من إثارة الفضول لدى المتلقي، واستخدام التمثيل الأكثر جاذبية، وتلوين حركة وأسلوب الخطاب، وترك المجال مفتوحاً للمتلقي دون تحديد مباشر لأطر الصورة.

فالمهمة الأولى التي تقوم بها الصورة الفنية هي محاولة جذب الانتباه، بما يسترعيه من استحضار للحواس والذهن، فتهيئاً الحواس لاستقبال المعاني التي تشكل الصورة أو المشاهدة، وكل ذلك يقود للتهيئة للسمع.

٢- التهيئة للسمع: يعتمد المتكلمون لأساليب عديدة لتهيئة السامعين لهم، منها ما يعتمد على المستوى العلمي أو القدرة المعرفية، ومنها ما يعتمد على الغرض العام، وكل هذا مرهون بدوافع داخلية للوصول للمعرفة والتعلم، ودوافع خارجية تفرض نفسها كقوى علمية معرفية، وباعتبار القرآن إعجاز منزل فرض جاذبيته على المستمعين، بما يحتويه من علوم ومعارف وقصص، وبما يفرض حاجة الناس له لتنظيم حياتهم

^{٥٩} الجرجاني، أسرار البلاغة، ١٣٢.

ورتابه عيشهم ضمن قانون إلهي لا يعتريه الخطأ أو التقصير، وبنفس الوقت قراءته وسماعه عبادة، كيف وقد جاء بثلاثة صور فنية وتشابيه تمثيلية جذابة ومثيرة للانتباه؟!.

وبطبيعة كون القرآن معجزة خالدة ومصدر التشريع، فمن البديهي أن يلتزم صاحب الحاجة للشرع أكثر من غيره فيهيئ نفسه للسماع، ويسخر حواسه لفهم والإصغاء، فيكون وجود التشبيه التمثيلي دفقة من مشاعر وحاجة عقلية؛ فتمتزج حاجة الروح مع مؤهلات العقل، فيكون الاستعداد مزدوجاً بين متلقٍ مستعد ومستحضرات واجبة هيأها الملقى، ناهيك عما يستوجب قهئته لسماع التشبيه التمثيلي، وإمتاع العقل في التحليل والتركيب.

٢- دور الصورة الفنية في توجيه الفرد والمجتمع: كانت الصورة تقوم بدور الشرح والتوضيح للوصول لمهمة الإقناع، بالاعتماد على المبالغة التي (تعد وسيلة من وسائل شرح المعنى وتوضيحه)^{٦٠}، فهذا الأسلوب الإيحائي لإيصال الفكرة أو العبرة؛ تنطلق جمالية خارقة تتعالى منها صفات الإبداع، مما يؤلف قوة وقدرة هائلة في التأثير من الكلام العادي، ويجعل الصورة الفنية كثيرة التفاعل والتأثير، وقد تم توظيف الصورة في شعر القدماء؛ لما عرف لها من دور في التأثير في أفراد القبيلة أو أعدائها أو حلفائها، ولحجم تأثيرها كانت تطير على ألسنة المتلقين، وتنتشر انتشار النار في الهشيم، وكذلك يبرز دور الصورة الفنية في توجيه بما تشحنه في النفوس من انفعالات، فعمق الخيال في الصورة الفنية تجعل مدى تأثيرها أبعد، وخاصة إن كان هدفها التوجيه وتعديل السلوك المنحرف، فتظهر قدرة

التشخيص والتجسيم والتمثيل ورموز الصور البيانية بما يعكس أفكار الملقى، ويعمق أثرها في وجدان المتلقي، ويؤسس استعدادات التلقي ويرفع مستوى الاستقبال من توجيه وتعليم ومبادئ.

إن لكل صورة أثرها سواء كانت طبيعية عادية أم فنية، فتفاوت الآثار والتوجيهات بمقتضى الاستعمال وحاجة المتلقي، ولعل أغلب الصور الفنية قصدت التوجيه لأفكار الملقى ومحاولة الإقناع والتغيير في سلوكيات خاطئة كانت أو معتقدات عفنة، والصورة تنجسد في العقل وقد تقترن بالفعل والعمل، ومنها يحاول الملقى التعبير عن تجربة أو علم ما، موظفاً أحاسيس وجدانية أو تجربة سابقة، فتظهر الصورة الفنية ضمن هيكل متناسق من الألفاظ مصحوبة بنغمة موسيقية خاصة، مع نسيج من الخيال الذي يجذب ويأسر المتلقي، والقدرة على التأثير تكمن في الكلمة المولدة للمعاني الخصبية، والتي تمنح الخيال الذي منه تتم عملية التأثير المباشر بالمتلقي فتدعه أو تحته أو تضبط سلوكياته، أو تصور له مكاناً يرغب بالحصول عليه أو الوصول إليه، فيسعى حثيثاً للانضباط والتوازن، فيحيط بالأحاسيس خيال ذو اتجاهين شعور المتعة النفسية بالرضا والقبول بالوصول، مما يدفع للسعي والعمل، وشعور الدهشة الذي تصنعه هالة الصورة وما فيها من غموض أحياناً يدفع للإعادة والتعلق والتكرار.

٣- دور التربية في التوجيه نحو السلوكيات المرغوبة: يسعى باحثو علم التربية إلى توجيه التربيين والآباء نحو سلوكيات إيجابية مرغوبة، تعكس من خلالها الدور الكبير الذي تلعبه

^{٦٠} عصفور، جابر. الصورة الفنية (في التراث النقدي والبلاغي عند العرب)، ط٣، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢)، ٣٤٣.

التربية للوصول إلى أرقى السلوكيات الإنسانية، فأولى هذه التوجيهات تدور حول البعد عن التسلط، الذي ينحصر في كثرة النصح والإرشاد واللوم المستمر، فلا بد من المربين أن يستقطبوا أبناءهم بفتح حوار ومناقشة مبنية على الحكمة أثناء التوجيه، مما يمنح المربي الهيبة عند إطلاق الأوامر، وتعزيز الحوار والثقة في منح الأولاد السماع وفتح مجال النقد لهم، في حين فرض التسلط على الأبناء يجعلهم في عزلة مستمرة، والالتزام بالعصبية والخوف وقلة الثقة بالنفس والعدوانية^{٦١}.

يرى الباحثون ضرورة الاهتمام بالأولاد، وعدم إهمال سلوكياتهم وملابسهم، بما يعكس مظاهر الحب، ولا يكفي ذلك بما تتضمنه أسس التربية في تغذيتهم ومعالجتهم وانتظام دوامهم في المدرسة، وبما يكفل سيادة وجودهم وعدم معاملتهم بسخرية أو تحقير أو تقليل قيمة وجودهم، واحترام رأيهم والبعد عن التحقير، بل لا بد من تشجيعهم والثناء على جهودهم مهما ضعفت^{٦٢}.

وكذلك أشار الباحثون إلى عدم القسوة وضرورة الاعتماد على اللين في التربية، فإظهار الشدة دائماً تنعكس لنتائج سلبية، وخاصة إذا اعتمدت التربية على الضرب المستمر، مما يؤدي بالأولاد للحنوح أو الانطواء أو التمرد في

غالب الأحيان، وكذلك للكلام البذيء أثره السلبي في تكوين شخصيتهم وانعكاس ذلك على حياتهم في المستقبل^{٦٣}.

ومن المهم جداً لتوازن التربية البعد عن التفرقة ومعاملة الأولاد بعدالة، بما يخلق المحبة والشعور بالمساواة، وإظهار الدلال للبعض يولد البغضاء والكراهية^{٦٤}.

وسعت التربية الإسلامية بشكل عام في بناء شخصية الإنسان الإيجابي، المسلم بخلقهم والمؤمن بعبادته، في محاولة بناء صرح القيم التربوية التي تشد أواصر العلاقة بين الخالق والمخلوق وبين المخلوقين ببعضهم، وبناء أسس الحياة على الاعتدال والتوازن والوسطية، والاعتماد على الأخلاق بما يكفل سعادة الإنسان، وكل ذلك يعتمد على تطبيق تعاليم الإسلام التي تكفل للإنسان نجاحه وسعادته^{٦٥}.

ودعت التربية الإسلامية إلى ضرورة الحوار الإيجابي، الذي يجعل المخطئ يتخلى عن السلوك السيئ، والتمسك بالسلوك الذي يوصل للتقدم والحضارة الأسرية والمجتمعية، ويكفل الحرية والمحبة، أما حوار الأسرة أي الآباء مع أبنائهم فيكفل شعور الاهتمام من الوالدين، وبذر المحبة والألفة، وتهدئة الانفعالات، وتغيير قناعة الأبناء في فكر قد يقود للانحراف، مما يؤدي لبناء شخصية مسلمة قوية قادرة على

^{٦١} بكار، عبد الكريم. التواصل الأسري، كيف نحمي أسرتنا من التفكك، ط٢، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠٠٩)، ٢٨-٢٩. بتصرف.

^{٦٢} أبو لمضي، هدى عبد الخالق. الإساءة في مرحلة الطفولة، رسالة ماجستير غير منشورة، (غزة: كلية التربية، الجامعة الإسلامية، ٢٠١٥)، ٢٧. بتصرف.

^{٦٣} علوان، عبد الله ناصح. تربية الأولاد في الإسلام، ط١، ج١، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٢)، ١٣٥. بتصرف.

^{٦٤} الديب، أميرة. أسس بناء القيم الخلقية في مرحلة الطفولة المبكرة، (القاهرة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢)، ٧٦. بتصرف.

^{٦٥} علي، سعيد إسماعيل. أصول التربية الإسلامية، ط٢، (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠١٠)، ١٥-١٦. بتصرف.

حمل أعباء الحياة القاسية، وتملك القدرة على اختيار السلوك السوي المحب، وكذلك يولد الحوار الأسري شعور تحمل المسؤولية تجاه أسرته ومجتمعه^{٦٦}.

ويجب على الوالدين تعديل سلوك أولادهم من صغرهم، والاهتمام بآداب الطعام والكلام، وآداب معاملة الآخرين، وآداب الحركات والجلوس والمشي في الطريق أو بين الناس، كي يكون السلوك منضبطاً منذ بداية حياتهم، فإهمالهم يؤدي لمشكلات اجتماعية تؤدي بحياتهم ومجتمعهم إلى الهاوية.

٤- آراء العلماء بتأثير السلوك بالخطاب: يقوم الإرشاد والتوجيه نحو السلوكيات الإيجابية في محاولة للتصويب والإصلاح، في مبدأ الحياة الإنسانية القويم، وفي تعاليم الشرائع السماوية، ويعتمد علماء الدين الإسلامي في توجه العامة والمتعلمين باستخدام الخطاب الديني؛ الذي يعتمد في منهجه إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، متمثلين بقوله تعالى على لسان لقمان الحكيم: "يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ"^{٦٧}

كي يكون الخطاب ذا تأثير كبير يجب أن يكون موجزاً، فالإطالة تفرض الملل والتشتت، بسبب الضغط على الذاكرة من حجم المعلومات، فالأوجب الاختصار ما أمكن، كي لا يصبح التأثير سلبياً، وكذلك ضرورة اختيار الكلمات الإيجابية للمتكلم، وتأمين حالة الإصغاء والاسترخاء للمستمع^{٦٨}.

فيحتاج تعديل السلوك إلى حجة الإقناع، والكلمة المعبرة والمؤثرة، غير أن الدماغ البشري يهتم أكثر بالكلمة السلبية وتؤثر به بشكل أعمق^{٦٩}، ويمكن للخطاب أن يدفع السامع للقيام بعمل أفضل^{٧٠}، وسنستظهر بعض آراء علماء التربية والسلوك.

٥- آراء علماء التربية والسلوك: يتوجب على الإنسان أن يقدم ضرورة العمل والتعليم المستمر، والتعليم لا يمكن تحصيله بدون خطاب، فاللغة هي أساس نقل المعلومات، وتعتبر وسيلة فعالة في عملية التواصل باعتبارها تؤدي عملية نقل المعرفة والتوجيه، ويقدر إتقان اللغة تنهياً لأساليب المعرفة والتوجيه، وكذلك لا بد من معرفة قواعد اللغة المستخدمة لتحديد المناسب من الشرح والتفصيل والاستبيان، وبذلك فاللغة

^{٦٦} السلمي، سلطان رجاء الله سلطان. ١٤٣٣هـ)، ١٢٩-١٣٣. ^{٦٧} لقمان ١٧.

^{٦٨} The effects of subliminal symbiotic stimulation on free-response and self-report mood. weinberger J, Kelner S, McClelland D. JNerv Ment Dis. 1997 Oct, 185(10):599-605. بتصرف.

^{٦٩} Enhanced sensitivity to negative word valence. Nasarallah M, Carmel D, Lavie N. Emotion. Oct; 9(5):609-18. بتصرف.

^{٧٠} Evidence of subliminally primed motivational orientations: the effects of unconscious motivational processes on the performance of a new motor task. Radel r, Sarrazin p, Pelletier L. J Sport Exerc psychol. 2009 Oct; 31(5):657-74. بتصرف.

المنطوقة سمة من سمات الإنسانية، وبها يتم التلقين والتوجيه والتعلم، لارتباط التفكير باللغة المنطوقة.

ويرى جورج هيربرت ميد أننا من خلال التفكير باللغة نفهم ونعي العالم، حتى حديث النفس هو طريقة من طرق التفكير، والكلام يحتوي رموزاً وإشارات يختلف إدراكها وفقاً للمتلقي وثقافته وفهمه، وبالتالي يحصل تعديل السلوك بدرجات الإدراك ولا شعورياً وبشكل متدرج، وكما يؤثر تكرار الخطاب ويعمق التعديل بما يلزم، وكذلك يتدخل زمن الخطاب ومكانه في التأثير في المتلقي ليؤدي تعديلاً للسلوك الإيجابي، وهناك مؤثرات أخرى تتداخل مع الخطاب كالصوت وشدته والنظرات والإيماءات^{٧١}.

٦- آراء علماء المسلمين: يرى محمد قطب أن النفس البشرية تتأثر بالكلام والخطاب والوعظ والإرشاد، والوجدان مستعد لتقبل المواعظ؛ التي تحركه وتثير فيه بواعث الكمون، ولا بد من تحريكه كي لا يترسب فيه الوجدان وتقل وتضعف كوامنه، فلا بد من رافد يرفد الخطاب والموعظة وهو القدوة الحسنة، التي تتعلق بالنفس والمشاعر الإنسانية، فالقدوة والموعظة متلازمان تحرك بعضها بعضاً، ويرى محمد قطب أن الموعظة يجب أن تكون لطيفة خفيفة مؤثرة؛ ترد منحرف السلوك إلى صوابه وتعوده على مكارم الأخلاق^{٧٢}.

أن حس الإنسان وشعوره بالحقيقة يبرد ويتبدل، فتقل نسبة التأثير وشحنة الإيمان التي تسعى لتعديل السلوك نحو الأفضل، فيجيء القرآن - ومن ضمنه الخطاب الإلهي - وبطريقة خاصة، فينفذ الركائز عن فطرة الإنسان ويمحو التبدل ويهز الوجدان، ويحرك النفس نحو الانفعال، فيتحقق الأثر المطلوب^{٧٣}، فإذا ما تغيرت الصورة والنظرة للحياة تغير سلوك الإنسان نحو الأفضل.

يربط الغزالي تعديل السلوك بمراقبة الإنسان لسلوكه، وتقبل النصيح والوعظ والإرشاد من العلماء، ثم يجب على المرء أن يجاهد نفسه، ويتعدى عن الأخلاء الكاذبين^{٧٤}. ويرى ابن مسكويه أن النفس تأخذ كثيراً من مبادئ العلوم عن الحواس^{٧٥}، ومنها السمع؛ الذي يستقطب الخطاب والكلام لتحوله للعقل الذي يحلل الخطاب ويميزه، وبالتالي يؤثر فيه، فيقوم بتوجيه النفس لتغيير السلوك أو تعديله. أما الدكتور عبد المجيد نشواتي، فقد ذكر أن القراءة والتسميع جزء من السلوك والأداء الظاهري للمتعلم، ويؤكد على أن العبارة السلوكية الناجحة هي القادرة على تحديد ما يجب أدائه^{٧٦}، ومنها يتم تعديل منهج التعلم وكشف التقصير، وتلافي الخطأ والنقص.

^{٧٤} الغزالي، أبو حامد. أيها الولد، ت: جميل إبراهيم حبيب، (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨١)، ٣٢. بتصرف.

^{٧٥} ابن مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب. تهذيب الأخلاق، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٤)، ٢١.

^{٧٦} نشواتي، عبد المجيد. علم النفس التربوي، ط٤، (عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، ٥٥.

^{٧١} ميد، جورج هيربرت. علم النفس الاجتماعي - دراسة لخفايا الإنسان وقوى المجتمع، د. فجر جودة النعيمي، ط١، (لبنان: الرافدين، ٢٠١٦)، ٣١٠-٢٨٩. بتصرف.

^{٧٢} قطب، محمد. منهج التربية الإسلامية، ج١، ط٤، (القاهرة: دار الشروق، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، ١٨٧. بتصرف.

^{٧٣} قطب، محمد. منهج التربية الإسلامية، ج٢، ط٣، (القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، ٢٩. بتصرف.

٥- جهود علماء المسلمين في بيان تأثير الإنسان بما يسمعه من كلام الله تعالى: واصل العلماء جهودهم في استخراج هذه المقاصد والموضوعات القرآنية المهمة، حتى بلغ هذا الإمام الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، ويمكن اعتبار القرنين الخامس والسادس الهجريين عصرًا للتأسيس والبناء لمقاصد القرآن وموضوعاته الأساسية.

فمن النعم الكبيرة التي من الله عز وجل بها علينا هي القرآن الكريم، فتزداد النعمة طرداً كلما تلوناه وفهمناه، وقد جهد العلماء المسلمون في بيان أثر تلاوة القرآن أو سماعه على الإنسان، وقد استمر علماء المسلمين في استبيان هذه الآثار، فنرى الخطابي يؤكد على إعجاز سماع القرآن؛ قائلاً: (وذلك صنيعة في القلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى، ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور)^{٧٧}، كما يكون التأثير أكبر إذا اقترن بالفهم والتدبر^{٧٨}، ويرى محمد الغزالي في تأثير سماع القرآن في النفس البشرية بأن له قدرة على: (استلال الجفوة من النفس، وإلقاء الصواب في الفكر، أو في كل غاية في هذا المضمار، ذلك أنه لون أحاديته للسامعين تلويئاً يمزج بين إيقاظ العقل والضمير معاً)^{٧٩}.

لقد اتخذ العلماء المسلمون من القرآن ملجأ لراحة نفوسهم ومنبع لعلومهم وشفاء لأمراضهم ومرضاهم، وما أثبتته التجارب الحديثة تقرر بالأثر الفيزيولوجي لسماع صوت القرآن الكريم، ففي داخل الجسم البشري أصوات لا نسمعها بالأذن وتحتاج لآلة لنسمعها كالسماعة الطبية، تختلف هذه الأصوات بحسب صحة الجسد وحيويته، وتتأثر مهمة كل عضو في جسم الإنسان بسماع ترتيل القرآن، فالأثر ليس عقلياً روحياً فحسب؛ بل يمتد إلى الجسم وأعضائه وكافة وأجهزته^{٨٠}.

لقد دمج العلماء المسلمون في بحوثهم ودراساتهم - منذ عهد العز بن عبد السلام ت: ٦٦٠هـ، وابن تيمية ت: ٧٢٨هـ، وابن قيم الجوزية ت: ٧٥١هـ، والشاطبي ت: ٧٩٠هـ - بين أثر القرآن الكريم ومقاصد الشريعة، وقد بدأ الفصل بين مقاصد الشريعة في الفترة بين القرن العاشر الهجري إلى الرابع عشر الهجري، منهم: الدهلوي ت: ١١٧٦هـ، وعبد الله بن فودي ت: ١٢٤٦هـ، والشوكاني ت: ١٢٥٠هـ، والقاسمي ت: ١٣٣٢هـ، والألوسي ت: ١٣٤٢هـ، - ومحمد رشيد رضا ت: ١٣٥٤هـ، وسيد قطب ت: ١٣٨٥هـ، ومحمد قطب ت: ١٣٩٣هـ، ومحمد الطاهر بن عاشور ت: ١٣٩٣هـ، فاستشعروا مواطن الأثر، ملتجئين من السيرة وبكاء النبي صلى الله عليه وسلم لسماع

^{٧٧} الخطابي، أحمد بن إبراهيم. بيان إعجاز القرآن، ت: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨)، ٦٥.
^{٧٨} الغزالي، أبي حامد. إحياء علوم الدين، تصحيح العزيز السيروان، (بيروت: دار القلم، ب ت)، ٢٥١.
^{٧٩} الغزالي، محمد. نظرات في القرآن، (باتنة: دار الشهاب، ب ت)، ١٢٥.

^{٨٠} مجلة الإعجاز القرآني، السبق القرآني في علم الفلسفة، بغداد: كلية الصيدلة، (١٩٩٩)، ١٠-١١. منقول عن: العبيدي، خالد فائق صديق. الهندسة الصوتية واللفظية في القرآن والسنة، جائزة دبي للقرآن الكريم، (بيروت: دار البشائر، ٢٠١٠).

القرآن، وأفعاله متأثراً به، وكذلك من معاني القرآن التي بينت أنه شفاء ورحمة ونظام وقانون وراحة وسعادة ومتعة.

فتلاوة القرآن تؤثر في تنشيط خلايا الدماغ، وتنشط الذاكرة، وصيانة الجسد وحفظه، إن فوائد القرآن الكريم لا يمكن عدّها والإعجاز العلمي للقرآن الكريم لا ينته أبداً. قال تعالى: (وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)^{٨١}، وقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)^{٨٢}، وقال: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً)^{٨٣}.

جاءت كلمة (شفاء) نكرة عامة تعني الشفاء بكل أنواعه الحسي والمعنوي، ومما يدل على الشفاء الحسي؛ باستشفاء النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن، وهو كذلك شفاء للنفس والروح، ومصدر الراحة ومبعث الاطمئنان والسعادة.

كما أن سماع القرآن يعيد التوازن لجسم الإنسان، وينشط المناعة، فقد تعرض القرآن لذكر تأثيره في الطبيعة أيضاً، يقول عز وجل: "وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ بَلْ لَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا"^{٨٤}، مما يدلنا على أن القرآن يخاطب الطبيعة بلغة خاصة بها، كما خاطب البشر؛ الأحياء والأموات، في إشارة واضحة لقوة القرآن، وإخفاء علم الله تعالى عنا لتستقر الحياة، فالاستماع للقرآن له تأثير مذهل في حياة الفرد والمجتمع، وحياة الكون والطبيعة الحيوانية والطبيعية.

* الخاتمة

في ختام هذا البحث، يتبين أن التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم يمثل أداة بلاغية فريدة تسهم بشكل كبير في تعديل السلوك الإنساني. فقد أظهر البحث كيف أن هذه الصور الفنية لا تقتصر على إيضاح المعاني، بل تتجاوز ذلك لتؤثر في وجدان الأفراد وتوجه سلوكياتهم نحو الأفضل.

إن قدرة القرآن على التأثير في النفوس تأتي من جمال بلاغته وعمق معانيه، مما يجعل خطاب الله تعالى يؤثر بشكل مباشر على سلوك الأفراد والمجتمعات. وقد أظهرت الدراسة أن التوجيه السلوكي يعتمد بشكل كبير على الأساليب البلاغية، حيث يستطيع التشبيه التمثيلي إيصال رسائل تربوية وأخلاقية بطرق محبة ومؤثرة.

لذا، فإن العودة إلى النصوص القرآنية ودراسة بلاغتها في التربية والتوجيه السلوكي يعد ضرورة ملحة في عصر يتطلب منا تعزيز وتثبيت القيم الأخلاقية والإنسانية في نفوس النشء. نأمل أن يسهم هذا البحث حجر الأساس للمزيد من الدراسات حول أثر البلاغة القرآنية في تشكيل السلوك الإنساني، وأن يكون دليلاً للباحثين والمربين في سعيهم نحو بناء مجتمع متوازن وقويم.

* النتيجة

توصل البحث إلى أن التربية المستندة إلى النصوص القرآنية والتشبيهات التمثيلية يمكن أن تكون أكثر فعالية في تشكيل سلوك الأفراد، مما يستدعي دمج هذه الأساليب في المناهج التعليمية.

^{٨٣} فصلت، ٤٤.

^{٨٤} الرعد، ٣١.

^{٨١} الإسراء، ٨٢.

^{٨٢} يونس، ٥٧.

أظهر البحث أن التشبيه التمثيلي له أثر عظيم ي تعديل السلوك الإنساني، حيث يسهم في توضيح المفاهيم والأفكار بشكل يجذب انتباه المتلقي ويؤثر في وجدانهم. أن استخدام الصور الفنية والتعريف بالأسرار البلاغية في القرآن يساعد على تعزيز القيم الأخلاقية والاجتماعية، مما يدفع الأفراد إلى الالتزام بالسلوكيات الإيجابية.

أكدت الدراسة على أهمية البلاغة في الخطاب القرآني كوسيلة لتوجيه السلوك، حيث تساهم في تغيير الأفكار والمعتقدات نحو الاتجاه الإيجابي. أظهرت النتائج أن التشبيه التمثيلي يحفز التفكير النقدي ويشجع على التفاعل مع النصوص، مما يعزز من قدرة الأفراد على فهم المعاني العميقة والاستفادة منها في حياتهم اليومية.

* التوصيات والمقترحات

- ١- يُوصى بإدراج دراسات البلاغة والتشبيه التمثيلي في المناهج التعليمية، لفهم النصوص القرآنية وتأثيرها في السلوك.
- ٢- ينبغي تطوير برامج تربوية تستند إلى البلاغة القرآنية، تتضمن ورش عمل ودورات تدريبية للمربين لتعزيز المهارات في استخدام هذه الأساليب في التعليم والتوجيه.
- ٣- يُقترح القيام بدراسات مستقبلية تستكشف أثر التشبيه التمثيلي في مجالات أخرى مثل علم النفس والاجتماع، لفهم تأثيره على سلوكيات الأفراد في سياقات مختلفة.

- ٤- الحاجة إلى مزيد من الدراسات حول تأثير البلاغة القرآنية في مختلف جوانب الحياة، مما يفتح آفاق جديدة للبحث العلمي في هذا المجال.
- ٥- يُوصى بتنظيم ندوات ومؤتمرات علمية تجمع الباحثين والمربين لمناقشة نتائج هذا البحث وتبادل الخبرات حول كيفية تطبيق البلاغة القرآنية في الحياة اليومية.

* المراجع

أولاً- المراجع العربية

- أبو عبيدة، معمر بن المثنى. مجاز القرآن. ت: أحمد فريد المزيدي، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦).
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. تأويل مشكل القرآن. ت: السيد أحمد صقر، (القاهرة: المكتبة العلمية، ١٩٥٤).
- ابن رشيقي، أبو علي الحسن. العمدة في صناعة الشعر ونقده. ت: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الجليل، ب ت).
- ابن الأثير، ضياء الدين. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط ٢، (الرياض: منشورات دار الرفاعي، ١٩٨٣).
- قدامة بن جعفر. نقد الشعر، ت: محمد عبد المنعم خفاجي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ب ت)، ١٥٩ - ١٦٠.
- أبو موسى، محمد. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، (القاهرة، دار الفكر، ب ت).

- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ت: مفيد قميحة، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٩)، وذكر الشعر دون نسبته لقائله في كتاب الصناعتين.
- أبو بكر الباقلاني، محمد بن الطيب. إعجاز القرآن، ت: عماد الدين أحمد حيدر، ط٤، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ب ت)،
- الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة. ت: محمود شاكر، ط٢ (جدة: دار المدني، ١٩٨٩).
- الغزالي، أبو حامد. إحياء علوم الدين. تصحيح العزيز السيروان (بيروت: دار القلم، ب ت).
- قطب، محمد. منهج التربية الإسلامية ط١٤ (القاهرة: دار الشروق، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
- نشواتي، عبد المجيد. علم النفس التربوي. ط٤ (عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).
- شيخ أمين، بكري. البلاغة العربية في ثوبها الجديد - علم البيان. ط٢، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠).
- الجويني، مصطفى الصاوي. البلاغة العربية - تأصيل وتجديد، (الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٨٥)،
- المطعني، عبد العظيم. من قضايا البلاغة والنقد، ط١، (القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٢)، ٥٢.
- مطلوب، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، (بيروت: مطبعة لبنان، ٢٠٠٠)،.
- ضيف، شوقي. البلاغة تطور وتاريخ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٣).
- عرفة، عبد العزيز. تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني. ط١ (القاهرة: الأزهر، دار الطباعة المحمدية، ١٩٨٣).
- علي، سعيد إسماعيل. أصول التربية الإسلامية، ط٢، (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠١٠)
- الرماني، علي بن عيسى بن عبد الله. النكت في إعجاز القرآن. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. ت: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام (مصر: دار المعارف، ب ت).
- السيد، شفيع. التعبير البياني - رؤية بلاغية نقدية، (القاهرة: دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ١٩٨٢)
- محمد، شادي إبراهيم عبد العزيز. الصورة بين القدماء والمعاصرين. ط١ (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٩١م).
- بكار، عبد الكريم. التواصل الأسري، كيف نحمي أسرنا من التفكك. ط٢ (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠٠٩).
- الديب، أميرة. أسس بناء القيم الخلقية في مرحلة الطفولة المبكرة (القاهرة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢).
- السلمي، سلطان رجاء الله سلطان الأسرة والمجتمع (1433هـ).
- حجاب، سيد عبد الفتاح. منهج عبد القاهر بين الموضوعية والذاتية (القاهرة: مجلة كلية اللغة العربية، ع ١٠، ١٩٨٠).

علوان، عبد الله ناصح. تربية الأولاد في الإسلام، ط ٢١، ج ١،
(القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع،

١٩٩٢)،

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. الإيمان. ت: صدقي جميل
عطار، ط ١ (بيروت: دار الفكر، ١٤١٩هـ).

ثانياً- المراجع الأجنبية

The effects of subliminal symbiotic
stimulation on free-response
and self-report mood.
weinberger J, Kelner S,
McClelland D. J Nerv Ment Dis.
1997 Oct, (10):599-605

Evidence of subliminally primed
motivational orientations: the
effects of unconscious
motivational processes on the
performance of a new motor
task. Radel r, Sarrazin p,
Pelletier L. J Sport Exerc
psychol. 2009 Oct; 31(5)

Enhanced sensitivity to negative word
valence. Nasarallah M, Carmel
.D, Lavie N. Emotion. Oct; 9(5)

ميد، جورج هربرت. علم النفس الاجتماعي-دراسة لخفايا
الإنسان وقوى المجتمع، د. فجر جودة النعيمي،

ط ١، (لبنان: الرافدين، ٢٠١٦)،

عتيق، عبد العزيز. علم البيان. بيروت: دار النهضة العربية
للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٢م).

الخطابي، أحمد بن إبراهيم. بيان إعجاز القرآن. ت: محمد
خلف الله ومحمد زغلول سلام (القاهرة: دار
المعارف، ١٩٦٨).

أبو لمضي، هدى عبد الخالق. الإساءة في مرحلة الطفولة،
رسالة ماجستير غير منشورة، (غزة: كلية التربية،
الجامعة الإسلامية، ٢٠١٥)،

محمد قطب. نظرات في القرآن. باتنة: دار الشهاب، ب ت).
ابن مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب. تهذيب
(الأخلاق) المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي،
٢٠٢٤).

العلماء المسلمون، جهودهم. استنباط المقاصد والموضوعات
القرآنية (القرون ٥-٦ هـ).

مجلة الإعجاز القرآني. السبق القرآني في علم الفلسفة (بغداد:
كلية الصيدلة، ١٩٩٩).

صمود، حمادي. التفكير البلاغي عند العرب - أسسه وتطوره
إلى القرن السادس، (تونس: منشورات الجامعة
التونسية، ١٩٨٨)

عصفور، جابر. الصورة الفنية (في التراث النقدي والبلاغي
عند العرب)، ط ٣، (بيروت: المركز الثقافي العربي،

١٩٩٢)،